

تفسير البحر المحيط

@ 153 وقيل : تنفذ الشمس سقوفهم وثيابهم فتصل إلى أجسامهم . فقيل : إذا طلعت نزلوا الماء حتى ينكسر حرها قاله الحسن وقتادة وابن جريج . وقيل : يدخلون أسراباً . وقال مجاهد : السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض . قال ابن عطية : والظاهر من اللفظ أنها عبارة بليغة عن قرب الشمس منهم ، وفعلها بقدرة □ فيهم ونيلها منهم ، ولو كانت لهم أسراب لكان سترًا كثيفًا انتهى . وقال بعض الرجاز : % (بالزنج حرٌّ غير الأجسادا % .
حتى كسا جلودها سوادا .
%) .

وذلك إنما هو من قوة حرِّ الشمس عندهم واستمرارها . كذلك الإشارة إلى البلوغ أي كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها . وقيل { أَتَدْبَعُ سَبَبًا } كما { أَتَدْبَعُ سَبَبًا } . وقيل : كما وجد أولئك عند مغرب الشمس وحكم فيهم كذلك وجد هؤلاء عند مطلع الشمس وحكم فيهم .
وقيل : كذلك أمرهم كما قصصنا عليكم . وقيل : { تَطَّالِعُ } طلوعها مثل غروبها . وقيل : { لَمَّ نَجْعَلُ لَّهُمْ مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ } أي مثل أولئك الذين وجدهم في مغرب الشمس كفره مثلهم ، وحكمهم مثل حكمهم في التعذيب لمن بقي على الكفر والإحسان لمن آمن . .

وقال الزمخشري : { كَذَلِكَ } أي أمر ذي القرنين كذلك أي كما وصفناه تعظيمًا لأمره .
وقيل { لَمَّ نَجْعَلُ لَّهُمْ مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا } مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس ، والثياب من كل صنف . وقال ابن عطية : { كَذَلِكَ } معناه فعل معهم كفعله مع الأولين أهل المغرب ، وأخبر بقوله { كَذَلِكَ } ثم أخبر تعالى عن إحاطته بجميع ما لدى ذي القرنين وما تصرف فيه من أفعاله ، ويحتمل أن يكون { كَذَلِكَ } استئناف قول ولا يكون راجعًا على الطائفة الأولى فتأمله ، والأول أصوب .
وإذا كان مستأنفًا لا تعلق له بما قبله فيحتاج إلى تقدير يتم به كلامًا . .

{ تُمْ أَتَدْبَعُ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْتَ السُّدَّيْنِ وَجَدَ مِنَ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا بَنِي إِدْرَا * لَقَرْنَا بَيْنَنَا * لَكَ خَرْجًا عَلَيَّ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ * رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

رَدْمًا * مَا * زُبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى * سَاوَى * بَيْنَ
الصَّادِ فَيَنْ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ اتُّونِي أُفْرِغْ
عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ
نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ
دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكَنَا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي
بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا * وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ
يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا * الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن
ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا * أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ
يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِّن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ
لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا } . .

{ سَبَبًا } أي طريقاً أو مسيراً موصلاً إلى الشمال فإن { السَّادِّيْنَ } هناك . قال
وهب : السدان جبلان منيفان في السماء من ورائهما ومن أمامهما البلدان ، وهما بمنقطع
أرض الترك مما يلي أرمينية وأذربيجان . وذكر الهروي أنهما جبلان من وراء بلاد الترك .
وقيل : هما جبلان من جهة الشمال لينا أملسان ، يزلق عليهما كل شيء ، وسمي الجبلان سدّين
لأن كل واحد منهما سد فجاج الأرض وكانت بينهما فجوة كان يدخل منها بأجوج ومأجوج . وقرأ
مجاهد وعكرمة والنخعي وحفص وابن كثير وأبو عمرو { بَيْنَ السَّادِّيْنَ } بفتح السين .
وقرأ باقي السبعة بضمها . قال الكسائي هما لغتان بمعنى واحد . وقال الخليل وسيبويه :
بالضم الاسم وبالفتح المصدر . وقال عكرمة وأبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة : ما كان من
خلق الله لم يشارك فيه أحد فهو بالضم ، وما كان من صنع البشر فبالفتح . وقال ابن أبي
إسحاق ما رأيت عيناك فبالضم ، وما لا يرى فبالفتح . وانتصب { بَيْنَ } على أنه مفعول به
يبلغ كما ارتفع في { لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ } وانجر بالإضافة في { هَذَا فِرَاقُ
بَيْنِي وَبَيْنِكَ } و { بَيْنَ } من الظروف المتصرفة ما لم تتركب مع أخرى مثلها ، نحو
قولهم همزة بين بين . .

{ مِّن دُونِهِمَا } من دون السدين و { قَوْمًا } يعني من